رد الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء

على

أحمد بن سعود السيابي

أمين عام مكتب الإفتاء بسلطنة عمان

مقدمة هذا النشر

الحمد لله الذي جعل الحق أبلجًا وأقام له من يذبّ عنه وينصره، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن هذا الرد الذي دبّجه الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى، جاء ضمن مجموعة ردود واستدراكات جمعها في كتابه "البيان لأخطاء بعض الكتّاب"، وهو من الردود النفيسة والتي كانت في أصلها منشورة في الجرائد والمجلات، ثم جمعت في هذا الكتاب المبارك. وقد كان هذا الرد تحديدًا هو الثامن من سلسلة استدراكات الشيخ على بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض الكتّاب.

أما سبب هذا الرد، فهو أن أمين عام مكتب الإفتاء بسلطنة عمان، أحمد السيابي، قد عقّب على فتوى للشيخ الجليل عبد العزيز بن باز رحمه الله، ولم يكتف بالتعقيب بل تعدى إلى النيل منه والانتقاص من شخصه ومقامه العلمي. فنهض الشيخ صالح الفوزان، تلميذ الشيخ ابن باز، بالرد عليه ردًّا مفحمًا، مستمسكًا بمنهج أهل السنة والجماعة في اتباع الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الرد علمًا ينتفع به، وسبيلاً لمن أراد الحق والإنصاف، وأن يجزي شيخنا العلامة صالح الفوزان خير الجزاء، ويزيده من فضله.

أبو عبد الله الزدجالي

الصفحة التالية رد الشيخ صالح الفوزان ←

المحتويات

قال الشيخ صالح الفوزان:

ثامنا: الرد على السيابي في تعقيبه على فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في حكم من نفى الرؤية وقال بتخليد العصاة في النار، وأن القرآن مخلوق

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، وخاذل من خالف أمره وعصاه. والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه واقتفاه.

وبعد:

فقد اطلعت على نبذة كتبها أحمد بن سعود السيابي تحت عنوان: " الرد على فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز في حكم الصلاة خلف من ينفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة" ويخالف ما جاء في الكتاب والسنة من إثبات ذلك ووجوب الإيمان به. وقد وجدت السيابي تحامل على شيخنا الشيخ ابن باز، وأقذع في رده بالسباب والكلمات النابية، مما ليس هو من أسلوب العلماء، وإنما هو أسلوب المفلسين الذين لا يملكون دليلا ولا حجة صحيحة يؤيدون بها قولهم؛ فإنهم يلجئون إلى مثل هذا الأسلوب، لعله يعوض ما عندهم من عجز وإفلاس.

مضمون فتاوى الشيخ عبد العزيز وموقف السيابي منها والرد عليه:

إن الشيخ ابن باز قد ذكر في هذه الفتوى ما دل عليه الكتاب والسنة، وما قاله الأئمة؛ كالإمام مالك، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة، والبخاري، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، والإمام أحمد، وما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن جمهور السلف من تكفير من أنكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ووجوب قتله. وقد بني الشيخ عبد العزيز بن باز على ذلك أنه لا يصلى خلفه، وهو بناء وجيه، وقال: إنه بحث في هذه المسألة مع مفتي الإباضية الشيخ أحمد الخليلي، فاعترف أنه لا يؤمن برؤية الله في الآخرة، وأنه يعتقد أن القرآن مخلوق، وذكر أنه نصحه، فأصر على هذا الاعتقاد الذي قال فيه الأئمة ما سبق بيانه.

وقد غضب كاتب هذه النبذة أحمد السيابي من هذه الفتوى ووصفها بأنها صادرة عن حقد مذهبي، وعصبية مظلمة، وضمائر متعفنة ! !

وهذه الألفاظ كما قلنا هي نموذج من بضاعة المفلسين من الحجج الصحيحة، والأدلة المقنعة، وهي في الحقيقة تنطبق على من صدرت منه، حيث تعصب لمذهبه الباطل، وأبى أن يتبع الكتاب والسنة، ويسير في موكب أهل العلم والإيمان من أئمة الدين، وأظهر ما يكن في صدره من الحقد الأسود، والضغائن المرة.

دعوته إلى كتمان الحق عمن سأل عنه

قال السيابي: *ولعل القارئ ستأخذه الدهشة ويذهب به الاستغراب كل مذهب عندما يجد أن هذه الفتوى موجهه إلى أحد الأشخاص الموجودين في الديار الأمريكية، ذلك البلد الذي يعتبر فيه أبناء الإسلام كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فهم بحاجة كبيرة إلى من يرشدهم إلى الألفة والمحبة والتآخي؛ لتكوين وحدة إسلامية قادرة على الوقوف والصمود في وجه قذائف الباطل الموجهة من جنبات منظمات اللوبي الصهيوني.* انتهى كلامه.

- هكذا قال ! ! حيث لم يجد جوابا عن فتوى الشيخ سوى أنه لا يناسب توجيهها إلى من هو في أمريكا بين الكفار؛ لأن المسلمين بحاجة إلى الاتحاد للوقوف في وجه العدو؛ كما يقول.

والجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن الحق يجب أن يقال ويبين للناس، والباطل يجب أن يرد في كل مكان، كما أمر الله بذلك: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ٨﴾ [الأنفال: ٨]

وشيخنا - حفظه الله - لم يوجه هذه الفتوى ابتداء حتى أتاه السؤال الملح، فهل يليق به أن يسكت ويكتم العلم، ويترك السائل في جهله، لا سيما في هذه المسألة الخطيرة التي تتعلق بأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي الصلاة؟!

إننا لو أخذنا بقول هذا المعترض، وسكت العلماء عن بيان الحق للناس؛ لضاع الحق، واستطال الباطل، وقضي على الدين، وهذا ما يفرح به الكفار في أمريكا وغيرها. . .

الوجه الثاني: أن نقول: إن اجتماع المسلمين واتحادهم ووقوفهم في وجه عدوهم أمر مطلوب وهدف نبيل؛ ولكن هذا لا يتحقق إلا إذا اعتصموا بكتاب ربهم وسنة نبيهم، وتركوا المذاهب الباطلة والأقوال الخاطئة، ولا سيما في العقيدة التي هي أساس الدين، ومدلول الشهادتين.

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

وحبل الله هو القرآن العزيز.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]

فأوجب سبحانه الرجوع إلى الكتاب والسنة؛ لحسم النزاع، وقطع دابر الخلاف، ولم يقل: ليبقى كل واحد على رأيه المخالف للكتاب لأجل الوحدة؛ الوحدة لا تمكن إلا باتخاذ الأسباب المؤدية إليها، ومن أعظم تلك الأسباب:

ترك المذاهب الباطلة، والانحرافات المضلة، وما لم تترك؛ فالوحدة متعذرة.

قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣]

وهذا ذم لهم على بقائهم على تفرقهم في الدين، ومقالاتهم الخاطئة.

الوجه الثالث: أن التفرق في العقيدة لا يمكن معه الاجتماع، وفضيلة السيابي يدعونا للبقاء على تفرقنا في العقيدة، ثم يطالبنا بالاتحاد أمام عدونا، وهذا تناقض ظاهر، تأخذ القارئ منه الدهشة، ويذهب به الاستغراب كل مذهب.

وأما فتوى الشيخ عبد العزيز، فإنها تدعو إلى القضاء على الأسباب التي تمنع تحقق الوحدة بين المسلمين، ومن أهمها: المذاهب المنحرفة، والنحل الضالة.

فما وجه الغرابة والدهشة التي ادعاها السيابي فيها؟!

إنه قبل ظهور هذه المذاهب والنحل، ويوم أن كان المسلمون على عقيدة واحدة، و اعتماد على الكتاب والسنة، وهم أمة واحدة، وقد وقفوا صفا واحدا أمام عدوهم، وفتحوا البلاد، وسادوا العباد بالعلم والدين؛ مصداقا لقوله ﷺ: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي"[١]

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته ٢٩٣٧

وقوله ﷺ: "فإنه من يعش منكم؛ فسيرى اختلافا كثيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي؛ تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"(٢).

وقد نقل السيابي في رده أبياتا هي حجه عليه؛ لأن الشاعر فيها يدعو إلى ترك المذاهب الضالة، والرجوع إلى ما دل عليه الكتاب والسنة، حيث يقول فيها:

وما الدين إلا واحد والذي نـــرى	ضلالات أتباع الهوى تتقارع
وما ترك المختـــــــار ألف ديانة	ولا جاء في القرآن هذا التنازع
فيا ليت أهل الدي من لم يتفرقوا	وليت نظام الدين للكل جامع

فمضمون هذه الأبيات إنكار المذاهب الباطلة، والدعوة إلى تركها، ومن أعظمها: إنكار رؤية الله في الآخرة، وإنكار صفات الله عز وجل والتي من أعظمها كلامه، وأن هذا ليس مما جاء به المختار ﷺ.

وما قال هذا الشاعر هو ما يدعو إليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وهذا ما يدعو إليه كل عالم محقق وداع إلى الله على بصيرة.

أما الذي يدعو إلى عدم إنكار المذاهب الباطلة، والعقائد الفاسدة؛ فهذا يدعو إلى التفرق والتفكك.

(٢) أبو داود السنة (٤٦٠٧)، الدارمي المقدمة (٩٥)

زعمه أن الشيخ لم يورد أدلة على فتواه والرد عليه

قال السيابي: " *من الغرائب الواردة في سياق الفتوى - والفتوى كلها غرائب - أن صاحبها سرد فيها أقوال علماء دون الاستناد إلى نص من الكتاب أو السنة الصحيحة، مع أن قول العالم. حسب ما قرر في أصول المذاهب الأربعة - يحتج له، ومن قولهم: إن قول النبي ﷺ يحتج به، وقول العالم يحتج له، ولكن فضيلته رأى أن النصوص لا تساعده على مراده، ولا تسعفه بمطلوبه؛ فلجأ إلى أقوال العلماء مستعرضا لهم من مالك بن أنس إلى ابن تيمية. . .* ".

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن الكاتب عميت عيناه أو زاغ بصره عن الآية الكريمة التي استدل بها العلماء الذين ساق الشيخ ابن باز أقوالهم في حكم منكر الرؤية، وهي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقد كتب بالخط العريض في الفتوى مرتين ! !

كما عميت عيناه – إن كان له عينان - أو زاغ بصره عن الآيات الثلاث التي كتبت في الفتوى، وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ

رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ١٧﴾ [المطففين: ١٥-١٧].

قال ابن المبارك: " ما حجب الله عنه أحدا، إلا عذبه " ثم قرأ هذه الآيات.

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -: " في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ". قال ابن كثير: " وهذا الذي قاله الإمام الشافعي - رحمه الله – في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية ".

كما أن السيابي لم ينظر إلى ما ذكر في الفتوى من تفسير قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وأن الزيادة فسرها النبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله؛ كما رواه مسلم وجماعة من الأئمة؛ ذكر ذلك الحافظ ابن كثير، وقال: " وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن: أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق. ... وغيرهم من السلف والخلف، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ ".

ثم ساق بعضا منها. وقد حكم الأئمة الذين ذكرهم الشيخ عبد العزيز في فتواه بكفر من أنكر الرؤية ووجوب قتله. فإذا كان

السيابي لا يقنع بتلك الأدلة ولا بأقوال هؤلاء الأئمة، وإنما يقتنع بقول جهم وجماعته؛ فليختر لنفسه ما شاء، لكن لا يغضب إذا خالفه طالب الحق.

الوجه الثاني: أن الشيخ عبد العزيز لم يسأل عن ثبوت الرؤية حتى يورد الأدلة على ثبوتها؛ لأن السائل والحمد الله يؤمن بها، وإنما سئل عن حكم الصلاة خلف من أنكرها، فذكر أقوال الأئمة في تكفير من أنكر الرؤية، وبنى عليها الحكم بعدم صحة الصلاة خلفه.

وهذا هو الجواب المطابق للسؤال وهذا هو الإنصاف والتحقيق، حيث لم يتسرع الشيخ وفقه الله بإصدار الفتوى حتى راجع كلام أهل العلم والتحقيق المبني على صريح الكتاب والسنة، حتى لا يقال: هذا رأيك الخاص، أو هذا تحامل منك، أو ما أشبه ذلك.

الوجه الثالث: في الجواب عن قول السيابي: " *إن قول العالم يحتج له ولا يحتج به، ولكن فضيلته* (يعني: الشيخ عبد العزيز بن باز) *رأى أن النصوص لا تساعده على مراده، ولا تسعفه بمطلوبه، فلجأ إلى أقوال العلماء. . .* " إلخ.

نقول:

أولا: ما قلته من أن أقوال العلماء يحتج لها، ولا يحتج بها قول صحيح وقاعدة ثابتة، ولكنك لم تطبق ذلك على نفسك، ولم تلتزم به؛ فإنك قبلت قول علماء أخطئوا في نفي الرؤية، ورفضت الأدلة الدالة على ثبوتها في الكتاب والسنة.

ثانيا: قولك: "*إن النصوص لا تساعد الشيخ عبد العزيز على مراده ولا تسعفه بمطلوبه الذي هو إثبات رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة* - " هو قول باطل، ومكابرة للحقائق؛ لأن النصوص المتواترة من الكتاب والسنة دلت على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل ليوم القيامة: فمن أدلة القرآن الآيات التي سبق ذكرها.

ومن السنة الصحيحة قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته". [٣] الحديث متفق عليه بين البخاري ومسلم.

وقد تواترت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ وهي أحاديث في الصحاح والسنن والمسانيد، وتلقتها الأمة بالقبول والتسليم، ولم ينكرها إلا المبتدعة الضالون.

ما تثبت به العقيدة في نظر السيابي والرد عليه

قال: " *ولا يخفى على أولي العلم والنظر أن العقيدة* -هو كذا قال، والصواب: هي الاعتقاد الجازم *الذي هو ثمرة اليقين لا يثبت إلا بالدليل القطعي، ولا يفيد القطع إلا القرآن العظيم والسنة المتواترة*" .

---

(٣) البخاري مواقيت الصلاة (٥٢٩) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٢٩) ، ابن ماجه المقدمة (١٧٧) ، أحمد (٤/٣٦٠) .

والجواب عن ذلك أن نقول: إن رؤية المؤمنين لربهم عز وجل قد ثبتت بالقرآن في عدة آيات سبق ذكر بعضها، وثبتت بالسنة المتواترة، ولكنك خالفت هذه القاعدة، وأنكرت الرؤية، فتناقضت مع نفسك، وهدمت ما بنيت؛ اتباعا للهوى، وتقليدا للرجال من غير دليل.

من عوامل صحة الحديث في نظره والرد عليه

قال: "*ومن أهم عوامل صحة الحديث موافقته لكتاب الله؛ لقول الرسول ﷺ: "ما جاءكم عني؛ فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه؛ فعني، وما خالفه؛ فليس عني". رواه الإمام الربيع من طريق ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو يرشد إليه قوله عز من قائل:* ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾" [النحل: ٤٤].

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن نقول له: إن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة لم تثبت بالسنة وحدها، بل ثبتت في القرآن أيضا في آيات كثيرة، ذكرنا بعضها فيما سبق، وثبتت بالسنة المتواترة فيكون ما ثبت بالسنة المتواترة عن رسول الله ﷺ من رؤية المؤمنين لربهم موافقا لما ثبت في القرآن، فتكون الرؤية قد تضافرت بثبوتها أدلة الكتاب والسنة المتواترة، فينطبق عليها ما ذكرت من الحديث، على فرض صحته، ومع هذا خالفته فتناقضت مع نفسك.

الوجه الثاني: قوله: " *إن العقيدة لا تثبت إلا بالسنة المتواترة* " قول غير سليم، بل تثبت العقيدة بما صح عن رسول الله ﷺ سواء كان متواترا أو أحادا، لا فرق؛ لأن هذا التفريق مبتدع، فما زال العلماء يعملون بأخبار الأحاد الصحيحة في العقائد وغيرها.

قال العلامة ابن القيم:

" ولم يكن أحد من الصحابة ولا أهل الإسلام بعدهم يشكون فيما يخبر به أبو بكر الصديق عن رسول الله ﷺ ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو ذر وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمر. . . وأمثالهم من الصحابة، بل كانوا لا يشكون في خبر أبي هريرة - مع تفرده بكثير من الحديث – ولم يقل له أحد. منهم يوما واحدا من الدهر: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم ".

الوجه الثالث: أنه لا يتصور أن يرد عن الرسول الله ﷺ حديث صحيح يكون مخالفا للقرآن، أو ينفي ما أثبته.

قال الإمام ابن القيم في كتاب " الطرق الحكيمة " (ص ٧٣): "والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله ﷺ الصحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل:

المنزلة الأولى: سنة موافقة شاهدة بنفس ما شهدت به الكتب المنزلة.

المنزلة الثانية: سنة تفسر الكتاب، وتبين مراد الله منه، وتقيد مطلقة.

المنزلة الثالثة: سنة متضمنة لحكم سكت عنه الكتاب فتبينه بيانا مبتدأ.

ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة، وليس للسنة مع كتاب الله منزلة رابعة. . ." انتهى.

وقال في " إعلام الموقعين " (٢/٢٨٨ - ٢٨٩) بعد أن ذكر هذه المنازل، وسماها أوجها:

"الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه.

ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض بوجه ما، فما كان منها زائدة على القرآن؛ فهو تشريع مبتدأ من النبي له تحب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديما لها على كتاب الله، بل امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع في هذا القسم؛ لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به، وأنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه؛ لم يكن له طاعة خاصة تختص به، وقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]" انتهى.

الوجه الرابع: أن الحديث الذي ذكره لا يصلح للاحتجاج.

قال السيوطي في كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة:

"قال الشافعي: احتج على بعض من رد الأخبار بما روي أن النبي ﷺ قال: " ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله "... الحديث. فقلت له: ما روى هذا أحد ثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء." انتهى.

وقال في مقدمة هذا الكتاب:

"وإنما مما فاح ريحه في هذا الزمان - وكان دارسا بحمد الله منذ أزمان- هو أن قائلا رافضيا زنديقا في كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية - زادها الله علوا وشرفا – لا يحتج بها، وأن الحجة في القرآن خاصة، وأورد على ذلك حديث: ما جاءكم عني فاعرضوه على القرآن، فإن وجدتم له أصلا فخذوا به، وإلا فردوه. هكذا سمعت هذا بجملته منه، وسمعه منه خلائق غيري، فمنهم من لا يلقي لذلك بالا، ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام، ولا من أين جاء، فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك، وأبين بطلانه، وأنه من أعظم المهالك".

تعجب السيابي من كون أهل السنة لا يعملون بقول الخوارج في الخروج على الولاة

قال السيابي: "*والبعض من أولئك العلماء الذين حكى عنهم فضيلته الأقوال الحماسية الملتهبة بقتل منكر الرؤية - لم يثبت عنهم أنهم قاموا بذلك، وأمروا به في مواجهة الجورة الظلمة الذين استعبدوا عباد الله، واتخذوهم خولا ومال الله دولا. ..* إلخ ما قال.

نقول: هذا القول يتمشى مع منطق الخوارج الذين يرون الخروج على الأئمة الظلمة، وأهل السنة لا يرون ذلك؛ امتثالا لأوامر الرسول ﷺ بالسمع والطاعة لولاة الأمور، وإن جاروا، وإن ظلموا؛ ما لم يصدر منهم كفر بواح.

وأيضا هو سوى بين جور الولاة وبين القول بنفي الرؤية، وهذا يدل على جهله أو على تلبيسه؛ فإن جور الولاة لا يقتضي الكفر، ونفى الرؤية يقتضي الكفر؛ لأنه تكذيب الله ولرسوله، ولما عليه أئمة المسلمين.

إنكار السيابي لعلاقة الإباضية بالجهمية والرد عليه

قال السيابي: "*يركز صاحب الفتوى* - يعني: الشيخ عبد العزيز *على أن كل من ينكر رؤية الله تعالى؛ فهو جهمي، فما علاقة الإباضية بالجهمية ؟ ! إن جهم بن صفوان وأصحابه لم تظهر آراؤهم إلا في الربع الأول من القرن الثاني الهجري، وأئمة الإباضية وعلماؤهم كانوا في القرن الأول الهجري...*"

إلى أن قال: "*وهل موافقة الجهمية للإباضية في إنكار الرؤية – ولعلها المسألة الوحيدة التي وفق الله الجهمية إلى قول الحق فيها - تجعل الجهمية من الإباضية أو الإباضية من الجهمية ؟* ".

والجواب عن ذلك:

أولا: إن الذي قال: من لم يؤمن بالرؤية؛ فهو جهمي ليس هو صاحب الفتوى، وإنما هو سفيان بن عيينة والإمام أحمد، والشيخ عبد العزيز نقل ذلك عنهم.

ثانيا: إن الجهمية هم الذين شهروا ونشروا القول بنفي الأسماء والصفات من الرؤية وغيرها، فنسب القول إليهم بهذا الاعتبار، وإن كان الإباضية - كما قال المعترض – لهم السبق في نفي الرؤية قبل وجود الجهمية، وأن الله وفق (!) الجهمية لاتباعهم في هذا الضلال؛ فهو شر لا يحسدون عليه كلهم، وبئس التابع، وبئس المتبوع في مخالفة كتاب الله وسنة رسوله، وما عليه أئمة المسلمين، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقد ذكر الله عن الأحزاب الضالة أنها تفرح بما عندها من الضلال، فقال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]

نظرة السيابي إلى أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية والرد عليها

قال السيابي: "*إن الحجة التي يستند إليها الكثير من أولئك العلماء الذين ذكرهم الشيخ ابن باز نقلا عن ابن القيم هي قوله تعالى:*

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ٢٢ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]

والشيخ ابن باز يستأنس بهذا الاحتجاج أيما استئناس، والسؤال هو: أي دليل له في هذه الآية بثبوت رؤية الله عز وجل ومذهبه قائم على إنكار المجاز في القرآن، والمتأمل يرى أن الآية الكريمة قد أسندت النظر إلى الوجوه ؟ فهل تكون الرؤية بالوجه ؟ إن هذا لم يثبت في كلام العرب على الإطلاق، وإنما تكون الرؤية بالعين..." إلخ ما قال.

والجواب عن ذلك أن نقول:

أولا: ليست الحجة التي يستند إليها العلماء في إثبات الرؤية مقصورة على الآية المذكورة، وإن كانت كافية، بل هناك آيات وآيات وأحاديث متواترة في إثبات الرؤية.

ثانيا: قوله: "*إن الآية الكريمة قد أسندت النظر إلى الوجوه، فهل تكون الرؤية بالوجه؟*" ؛ هذا من المغالطة المضحكة؛ لأن أحدا مهما بلغ من الغباوة لا يفهم هذا الفهم الذي ذكره، وإنما يفهم كل أحد أن الوجوه تنظر بأعينها؛ كما إذا قلت: رأيت زيدا و نظرت إليه، فهل يفهم أحد أنك رأيته بجسمك؟! أو لا يفهم إلا أنك رأيته بعينيك؟! لكنها المغالطة الفارغة.

اعتراض بارد ووردّه

قال السيابي متسائلا: "*ما هي المناسبة التي بين هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. وبين الآية التي بعدها: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القيامة: ٢٤-٢٥] إذا فسر قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالرؤية، وإن خير ما يفسر القرآن هو القرآن، فالله تعالى يقول في آخر سورة عبس: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ [عبس: ٣٨-٣٩] مفسرا لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾*"

[القيامة: ٢٢-٢٣].

والجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن المناسبة بين قوله تعالي: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ وبين الآية التي بعدها: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: أَنه سبحانه لما ذكر ما يكرم به أولياءه من نضرة الوجوه وحسنها، وما تنعم به زيادة على ذلك من النظر إلى وجهه الكريم؛

ذكر حالة أعدائه، وما يلقونه من العذاب الأليم الذي يظهر أثره على وجوههم، وأعظم ذلك حرمانهم من رؤية ربهم عزوجل كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

وكثيرا ما يقارن الله سبحانه في كتابه بين حال أهل السعادة وحال أهل الشقاوة في الآخرة؛ ليذكر عباده، حتى يأخذوا بأسباب السعادة، ويتركوا أسباب الشقاوة.

الوجه الثاني: أن آية عبس: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾ ليست مفسرة لقوله تعالى: ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ كما يقول؛ لأن النظر غير الإسفار، فالنظر يكون بالعين، والإسفار لون يظهر على الوجه، وربما يكون نتيجة للنظر إلى الشيء السار المفرح، فالمؤمنون يجمع الله لهم بين نضرة الوجوه وإسفارها، ونظر العيون إلى وجهه الكريم.

ثم إن هذا التفسير الذي ذكره لم يقل به أحد يعتمد على قوله من المفسرين.

تعلقه بنفي عائشة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج ليحتج على نفي الرؤية في الآخرة

ثم يمضي السيابي في مغالطاته فيقول: "*كما أن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها استدلت بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] على نفي رؤية النبي ﷺ ربه في جوابها لمسروق في الحديث الذي رواه الربيع والبخاري ومسلم.*

ثم إنه أراد دفع الإجابة الصحيحة عن هذه المغالطة، فقال: فإن قيل: إن ذلك الاستدلال كان على نفيها في الدنيا لا في الآخرة.

فالجواب عن ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن صفات الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل، فهي في الأزل، وفيما لا يزال، إذ إن التغير من سمات الحدوث، وهو شأن المخلوقين.

الثاني: أن منزلة الرسول ﷺ في قاب قوسين أو أدنى يمكن أن تقاس على مترلته في الآخرة؛ لأن رحلة الإسراء والمعراج كانت نقلة من جو إلى جو آخر، ومن مقام إلى مقام آخر، فلو كانت رؤيته تعالى ممكنة وجائزة؛ لرأى الرسول ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج".

والجواب عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن عائشة رضي الله عنها قطعا تريد من هذا النفي نفي رؤيته في الدنيا، ولا تريد نفي ما ثبت بالأدلة القاطعة من رؤيته في الآخرة، وصانها الله عما نسبته إليها من مخالفة كتاب الله وسنة

نبيه، وقد ظننت بها سوءا، وحملتها ما لم تقل، ولو كانت أرادت ما ذكرت - وحاشاها من ذلك - لرد عليها الصحابة بالآيات والأحاديث المثبتة للرؤية في الآخرة، فهم أجل من أن يسكتوا على ما يخالف الكتاب والسنة، وأن يجاملوا أحدا في ذلك.

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله -:

"ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية." رضي الله عنها تثبت الرؤية في الدار الآخرة.

الوجه الثاني: أن نفى رؤية الله في الدنيا وإثباتها في الآخرة ليس تغيرا أو تبدلا في صفات الله؛ كما توهمت، وإنما هو تغير لصفات المخلوق؛ من كونه لا يقوى على رؤية الله في الدنيا؛ لضعف قواه وحواسه، ثم يقوى على ذلك في الآخرة؛ لما يمنحه الله من الاستعداد لذلك، وأحوال الآخرة غير أحوال الدنيا، فقياسك لحالة الدنيا على حالة الآخرة قياس مع الفارق، والقياس إذا كان مع الفارق؛ فهو قياس باطل بالإجماع.

الوجه الثالث: أن قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ ﴾ ليس نفيا للرؤية، وإنما هي نفي للإدراك، وهو الإحاطة، فالأبصار تراه في الآخرة، ولا تحيط به سبحانه. ولهذا استدل أهل السنة بهذه الآية على إثبات الرؤية؛ لأن نفي الإدراك يلزم منه وجود الرؤية، والإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم.

قال الإمام ابن كثير:

"ونفي الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة. يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس وتتره؛ فلا تدركه الأبصار، ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا، وتحتج بهذه الآية: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾ فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه؛ فإن ذلك غير ممكن للبشر، ولا للملائكة، ولا لشيء. . ." انتهى.

والمؤمنون وإن رأوا ربهم في الآخرة؛ فإنهم لا يدركون جلاله وعظمته إدراك إحاطة؛ كما إن من رأى القمر لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته، فالعظيم أولى بذلك، وله المثل الأعلى.

قيل لعكرمه: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ﴾. قال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى.

قال: فكلها ترى؟

الوجه الرابع: وأما قوله: "*فلو كانت رؤيته تعالى ممكنه وجائزة؛ لرأى الرسول ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج.*"

نقول: لا تلازم بين هذا وهذا، فلا يلزم من عدم رؤيته ليلة المعراج عدم رؤيته في الآخرة؛ لأن المعراج وقع في الدنيا قبل الموت، ورؤية المؤمنين له تقع في الآخرة بعد الموت، وحالة الدنيا غير حالة الآخرة كما سبق.

رد ادعائه أن الأدلة دلت على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة

قال السيابي: "*وهناك الكثير من الأدلة النقلية والعقلية على نفي رؤية الله تعالى دنيا وآخرة.*"

أقول: أما نفي رؤيته في الدنيا؛ فهو صحيح، فقد دلت عليه الأدلة، وأما نفى رؤيته في الآخرة؛ فالأدلة تدل عليه في حق الكفار، أما المؤمنون فالأدلة تدل على ثبوتها لهم، والواجب نفي ما نفاه الله وإثبات ما أثبته.. هذا هو سبيل المؤمنين.

زعمه أن سؤال رؤية الله فكرة يهودية والرد عليه

ثم استمر السيابي في مغالطته وتضليله، فقال ما ملخصه: "*إن سؤال الرؤية قد صدر عن اليهود، حيث قالوا لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] وعن المشركين حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ٢١﴾ [الفرقان: ٢١] وقد حذر الله عباده المؤمنين ونهاهم عن سؤال الرؤية، فقال: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ*

مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ [البقرة: ١٠٨]"

قال: "*فعلق سبحانه تعالى على سؤال الرؤية والطمع فيها استبدال الكفر بالإيمان الذي يتحتم عليه الضلال عن الطريق السوي، ألا وهو دين الله، وكفى بذلك تنفيرا للمؤمنين.*

فإن قيل: امتناع وقوعها إنما هو في الدنيا؛ فالجواب قد تقدم بأن صفات الله لا تتغير؛ فهي هي في الأزل وفيما لا يزال.

فإن قيل: إن امتناعها عن اليهود والمشركين إنما هو لكفرهم؛ فالجواب أيضا أن الله لم يعدهم بها لو اهتدوا واستقاموا، وإنما وجه إليهم الزجر والتوبيخ، وأرسل على اليهود الصاعقة."

والجواب عن ذلك نقول:

ما أعظم تلبيس هذا الرجل، حيث جعل سؤال المؤمنين ربهم أن يمن عليهم برؤية وجهه الكريم يوم القيامة محبه له وشوقا إليه مثل سؤال اليهود والمشركين لأنبيائهم أن يروهم الله جهرة في الدنيا من باب التكبر والعناد هل هذا إلا عين المكابرة؟! ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦]

إن كلامه هذا باطل من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن المراد بالآية - كما قال المفسرون - النهي عن أسئلة التعنت التي كان يوجه مثلها اليهود إلى موسى، ومنها السؤال عن الأشياء قبل وقوعها.

ولم يكن المؤمنون يسألون النبي الله أن يريهم الله في الدنيا حتى يصح له حمل الآية عليه.

الوجه الثاني: أن طلب اليهود والمشركين رؤية الله في الدنيا هو من باب التحدي للرسل، وعدم الإيمان برسالتهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى﴾ [الفرقان: ٢١]

والمطلوب منهم الإيمان بالغيب، وتصديق الرسل؛ لأنهم إذا رأوا الله تعالى في الدنيا لم يكن إيمانهم به إيمانا بالغيب، ولا تصديقا للرسل.

الوجه الثالث: أن سؤال رؤية الله تعالى في الآخرة والنظر إلى وجهه الكريم ليس من جنس سؤال اليهود والمشركين رؤيته في الدنيا، فالأول مشروع، وهذا ممنوع. وقد سأل النبي ﷺ في دعائه ربه النظر إلى وجهه الكريم؛ كما روى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحيهما أنه قال: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق؛ أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في

الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك؛ من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين"

فيكون الرسول على مقتضى قول السيابي قد طلب من الله ما لا يجوز له طلبه، واعتدى في دعائه كاعتداء اليهود والمشركين لما طلبوا أن يروا الله جهرة!!

ما أعظم هذه الفرية! نسأل الله العافية.

الوجه الرابع: أما قوله: "*فإن قيل: إن امتناعها عن اليهود والمشركين إنما هو لكفرهم. . . فالجواب أيضا أن الله لم يعدهم بها لو اهتدوا واستقاموا."*

فعنه جوابان:

الأول: أن امتناعها عنهم ليس لكفرهم فقط، بل ولأنها غير ممكنة لا لهم، ولا لغيرهم.

الثاني: قوله: "*أن الله لم يعدهم لو اهتدوا واستقاموا"* قول باطل، وكذب على الله، فقد وعد الله من آمن به واهتدى أن يكرمه بالنظر إلى وجهه الكريم، ورؤيته يوم القيامة؛ كما دل على ذلك القرآن، والسنة المتواترة، وإجماع أهل الحق، ونفيها تكذيب لهذه النصوص، وإهدار لتلك الأدلة، وتعطيل لها.

زعمه أن القول بعدم تخليد العصاة في النار فكرة يهودية والرد عليه

ثم انتقل السيابي إلى مسألة تخليد أهل الكبائر من المؤمنين في النار، فقال: "*إن الإباضية يقولون بخلود مرتكب الكبيرة في نار جهنم إذا مات، ولم يتب، ولنظرهم الفاحص ولرؤيتهم العميقة بأن عقيدة خروج العصاة من النار، أو وعدهم بمغفرة ذنوبهم من غير توبة وإقلاع عن ارتكاب المعاصي تترتب عليها مفاسد اجتماعية خطيرة، وعدم الالتزام بمنهج الإسلام وتعاليمه، وأي فائدة من إسلام مسلم وهو لا يمتثل أوامر الإسلام، ولا ينتهى عن نواهيه ؟ !*

والإباضية يقولون بأن عذاب النار دركات؛ كما أن نعيم الجنة درجات، والمنشأ التاريخي لهذه الفتنة تبينه لنا الآيات الكريمة التالية: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ٨٠ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ٨١﴾ [البقرة: ٨٠-٨١]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ٢٣ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٥]"

قال: "لقد بينت الآية الكريمة السالفة الذكر أن أماني اليهود - أخزاهم الله تعالى- هي كانت المنشأ والمبدأ لفكرة التعلق بوعد الله للحصول على ثوابه وهم يرتكبون المعاصي:

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

[الجاثية: ٢١]

وجاء قول الرسول الله مؤكدا لهذا المعنى: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق كذا يقول، والصواب: العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني" ."

قال: "*فهل يليق بالمسلم أن يعتقد عقيدة اليهود الباطلة التي أنكرها الله عليهم إنكارا شديدا، وشنع عليهم فيها، حيث اعتبرها ناشئة عن افترائهم وغرورهم؟!"*. انتهى كلامه.

وقد نقلته بطوله؛ ليعلم الناظر فيه ما عند الرجل من الجهل والتخليط والتغليط ولبس الحق بالباطل، فيكون في ذلك عبرة لأولي الأبصار.

والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أنه جعل منشأ القول بعدم تخليد العصاة المؤمنين بالنار ناشئا عن مقالة اليهود، وهذا جحد لما في كتاب الله وسنة رسوله من الأدلة على هذه المسألة كما نبينه.

الوجه الثاني: أنه سوغ القول بتخليد مرتكب الكبيرة من المؤمنين في النار بأن هذا فيه دفع مفاسد اجتماعية، وحث على التزام منهج الإسلام وتعاليمه، وهذه التسويغ باطل؛ لأنه في مقابله النصوص الصحيحة الصريحة الدالة على خروج مرتكب الكبيرة من النار إذا كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، وقد يعفو الله عنه، فلا يدخلها أصلا؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ٣١ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ٣٢ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر: ٣١-٣٣] الآية.

فأخبر أن كل هذه الأصناف الثلاثة تدخل الجنة، ومنهم الظالم لنفسه، وهو العاصي معصية دون الشرك.

وإن كان دخول هذه الأصناف في الجنة يتفاوت.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]

فوعد بمغفرة ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء، وهذا يدخل فيه أصحاب الكبائر.

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق ؟ ! وكررها. قال رسول الله ﷺ: "وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر ". [٤]

وأما التنفير من المعاصي والتحذير منها فهو مطلوب، لكنه لا يكون بجحود ما أنزل الله وبينه رسوله من سعة مغفرة الله وعفوه عن العصاة، وإخراج أصحاب الكبائر من النار، وإنما يكون

---

(٤) البخاري اللباس (٥٤٨٩) ، مسلم الزكاة (٩٤) ، الترمذي الإيمان (٢٦٤٤) ، أحمد (٥/١٥٢)

بالوعظ، والتذكير، وتنفيذ الحدود الشرعية؛ برجم الزاني، أو جلده، وجلد الشارب والقاذف، وقطع يد السارق، وقتل القاتل قصاصا، وتفسيق أصحاب الكبائر، وإسقاط عدالتهم حتى يتوبوا، وتعزير أصحاب المعاصي التي لا حد فيها، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل. . . وغير ذلك. ودخول النار والعياذ بالله - ليس بالهين، ولو أخرج منها بعد ذلك؛ فإنه شديد وخطير، يحمل المسلم على الابتعاد عن المعاصي.

الوجه الثالث: مساواته بين قول أهل السنة بخروج عصاة الموحدين من النار وعدم الخلود فيها - كما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة - وبين قول اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ و ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾! **وهذا باطل من وجهين:**

الأول: أن اليهود كفار، والكافر مخلد في النار، وأما عصاة الموحدين؛ فهم مؤمنون ناقصو الإيمان وموحدون، ولا مساواة بين مشرك وموحد ومؤمن وكافر؛ قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ٣٦﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]

والثاني: أن اليهود - لعنهم الله ليس لهم حجة فيما قالوه، ولهذا قال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]

وأما عصاة الموحدين؛ فقد وردت الأدلة من الكتاب والسنة، وقامت الحجة لهم على عدم تخليدهم في النار، فأين هذا من ذاك ؟ ! والذي يسوي بين مؤمن وكافر قد سوى بين ما فرق الله، وحاد الله في أمره.

الوجه الرابع: أنه لا حجة له في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ٨١﴾ [البقرة: ٨١]

لأن المراد بالخطيئة المحيطة خطيئة الكفر، لا مطلق الخطيئة؛ لأن الله عز وجل قيدها بقوله: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ، خَطِيئَتُهُ ﴾ فدل على أن الخطيئة غير المحيطة - وهي ما دون الكفر - لا يخلد صاحبها في النار. ففي الآية رد عليه.

وهكذا، لا يستدل مبطل بدليل من الشرع إلا وفيه رد عليه، فسبحان العليم الحكيم الذي جعل كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

الوجه الخامس: أنه لا حجة له في قول الرسول ﷺ "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها

وتمنى على الله الأماني"[٥]؛ لأن معناه الحث على العمل الصالح، والتحذير من الكسل، وليس فيه أن العاصي يخلد في النار.

تحذيره من عقيدة أهل السنة ووصفها بالتجسيم والإرجاء

ثم وقف السيابي موقف الناصح والمحذر للمسلمين من عقيدة أهل السنة، فقال: "*إن المسلمين في حرب دائمة ومستمرة مع أعداء الله اليهود، وعليهم أن يتخلصوا أولا من عقائدهم الفاسدة؛ فإن تصحيح العقيدة عامل مهم من عوامل النصر.*"

ثم بين العقيدة التي يحذر منها، حيث قال: "*ويحذروا عقيدة التجسيم والإرجاء*".

وهو يقصد بذلك عقيدة أهل السنة الذين يثبتون رؤية الله عز وجل ويسمى هذا تجسيما، ويقولون بعدم تخليد المؤمن العاصي في النار، يسمى هذا إرجاء. وهذا من جهله بمعنى الرجاء، وبمن قال به؛ فإن الإرجاء معناه تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، وليس هو عقيدة أهل السنة، وإنما هو عقيدة الجهمية، وهو القول بأن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب، ولو لم يحصل عمل، أو أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط؛ كما يقوله الأشاعرة، أو هو التصديق بالقلب من النطق باللسان، وهذا الأخير قد يقول به بعض أهل السنة، وجمهورهم على خلافه، يقولون: إن الإيمان قول باللسان،

---

(٥) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٦٠).

واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وأما قول أهل السنة: إن مرتكب الكبيرة من المؤمنين لا يخلد في النار؛ فليس إرجاء وإن سماه إرجاء - وكذلك رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة كما أثبتها الله في كتابه، وأثبتها رسوله في سنته وإن سماها تجسيما - فهو لا يغير من الحق شيئا. فأهل السنة لا يهمهم مثل هذه التشنيعات ما داموا على الحق، متمسكين بالكتاب والسنة، فما زال أهل الحق في كل زمان يلقبون بأشنع الألقاب، وهذا مما يرفع درجاتهم عند الله، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا٤٣﴾ [فاطر: ٤٣]

زعمه أن الحنابلة هم الذين اهتموا بإنكار القول بخلق القرآن تعصبا لإمامهم

ثم قال السيابي تحت عنوان خلق القرآن: *إن الحنابلة يهتمون بهذه المسألة اهتماما بالغا*

وأرجع هذا الاهتمام عندهم إلى أنه مسألة عاطفة؛ لكون الإمام أحمد عذب عليها"؛ قال: *"ومن الخطأ أن تكون العاطفة مقياس الخطأ والصواب، وربما عاب الحنابلة على بعض المذاهب*

عاطفتهم وتقديسهم للأشخاص، ولكنهم وقعوا في أنفسهم فيما عابوا به الآخرين."

وجوابنا على ذلك أن نقول: إن الذين أنكروا القول بخلق القرآن ليسوا هم الحنابلة فقط، بل جميع أهل السنة من المحدثين، وفقهاء المذاهب الأربعة، وغيرهم، غيرة لكتاب ربهم عز وجل ومؤلفاتهم في ذلك كثيرة مشهورة.

قال الإمام الطحاوي الحنفي - رحمه الله - في عقيدته ما نصه:

"وإن القرآن كلام الله؛ منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة؛ ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه زعم أنه كلام البشر؛ فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿ إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر." انتهى

وهذه العقيدة متلقاة بالقبول عند جميع أهل السنة.

قال السبكي الشافعي:

"جمهور المذاهب الأربعة على الحق يقرون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء بالقبول."

وقال شارحها ابن أبي العز الحنفي على هذه الجملة التي نقلناها:

"هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس، وهذا الذي حكاه الطحاوي - رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرها، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تتغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة."

وقال الإمام محمد بن جرير الطبري إمام المفسرين - رحمه الله - في عقيدته المشهورة:

"وإن ما نبدأ القول به من ذلك عندنا أن القرآن كلام الله وتنزيله، إذا كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كتب، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ، في السماء وجد وفي الأرض حفظ، في اللوح المحفوظ أو في القلب حفظ، وباللسان لفظ، فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآنا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد ذلك بقلبه، أو أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه داينا؛ فهو بالله كافر، حلال الدم والمال، بريء من الله، والله منه بريء." انتهى

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن خزيمة - رحمه الله – في كتاب التوحيد:

"باب: ذكر البيان من كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ ومن سنة نبينا محمد ﷺ على الفرق بين كلام الله وعلى الذي به يكون خلقه، وبين خلقه الذي يكون بكلامه وقوله، والدليل على نبذ قول

الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله مخلوق جل ربنا وعز عن ذلك. . .

ثم ساق الأدلة، وقال أيضا: باب: من الأدلة التي تدل على القرآن كلام الله الخالق، وقوله غير مخلوق، لا كما زعمت الكفرة من الجهمية المعطلة." انتهى.

وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب الإبانة: "ومن قال: (إن القرآن غير مخلوق، وإن من قال بخلقه كافر) من العلماء وحملة الآثار ونقلة الأخبار لا يحصون كثرة؛ منهم: الحمادان، والثوري، وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، و هشام، وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن المفضل، وعبد الله بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون. وغيرهم. ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك؛ لطال الكلام بذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين.

ولو احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل وما تضمنه من القرآن، وأوضحه من البيان. ولم نجد أحدا ممن تحمل عنه الآثار، وتنقل عنه الأخبار، ويأتم به

المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس، وجهال من جهالهم، لا موقع لقولهم." انتهى.

فهل هؤلاء حنابلة حملتهم العاطفة كما يقول السيابي لإمامهم، أو أنهم قالوا ذلك غيرة على كتاب ربهم من أقوال الزنادقة والمبتدعة؟ !

وقوله: "*فالقضية هي قضية عاطفية نفسية، ليست إلا.*"

نقول: هذا اتهام لعلماء المسلمين بأنهم يغارون للأشخاص، ولا يغارون لكتاب الله.

ذكر مقابلتهم للشيخ ابن باز وما جرى فيها والرد عليه

ثم ختم السيابي حديثه الممل بذكر مقابلة شيخه الخليلي مفتي عمان بالشيخ عبد العزيز بن باز، وما جرى بينهما من المناقشة حول هذه المسائل، وقال: "*إن الشيخ ابن باز جعل يسب، فضلل وكفر، وعبس وبسر، ولما دعاه الخليلي إلى المباهلة؛ احرنجم وتلوى.*"

والجواب عن ذلك أن نقول: مهما وصفت الشيخ عبد العزيز بن باز بصفات السوء؛ فإن الناس يعرفونه، ويعرفون أخلاقه الكريمة، وعلمه الغزير، وأنه لا يعجز - بحول الله - أن يفحم شيخك وغيره بكلمة الحق، ولا سيما في هذه المسائل التي يعرف الحكم فيها طلاب المدارس عندنا.

وقد بين الشيخ عبد العزيز السبب منعه من المناظرة، وهو أنه كره المناظرة المعلنة التي تضر بعض الناس، وتدخل عليهم بعض الشكوك؛ لأنه والحمد لله في مجتمع سالم من هذه الأفكار المنحرفة، فلا يريد أن يفتح على الناس باب شر هم في سلامة وعافية منه.

وهذا غاية الحكمة وإذا كان باستطاعة السيابي وشيخه الخليلي أن يجيبا عما كتبه علماء أهل السنة في هذه المسألة: مسألة ثبوت الرؤية، ومسألة عدم تخليد عصاة المؤمنين في النار، ومسألة بطلان القول بخلق القرآن. . وغيرها من المسائل التي خالف فيها الإباضية أهل السنة والجماعة؛ إذا كان باستطاعة المذكورين أن يجيبا عما كتب في ذلك من مؤلفات مستقلة وهي بالمئات - والحمد لله - وعما في كتب عقائد أهل السنة التي تدرس في المساجد والجامعات وغيرها؛ فالمجال أمامهما مفتوح.

ولكن أنى لهما ذلك ودونه خرط القتاد، والعلماء لهم بالمرصاد؟!

وخير لهما الرجوع إلى الصواب، بدل اللجاج والمنازعة اللتين لا طائل تحتهما...

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد